السنة: السابعة المجلد: 07 العدد: 01 ص ص:630- 649
EISSN2676-1645 ISSN 2543-375X

الهوية الاجتماعية لحركة أصحاب السترات الصفراء في فرنسا
Social identity of yellow vests movement in france

عبد القادر مشري*، جامعة الجزائر3
Abdk1mecheri@gamail.com

تاريخ الاستلام:2021/09/15 تاريخ القبول: 2021/10/17

ملخص:

شهدت فرنسا، في خريف عام 2018، سلسلة احتجاجات شعبية كبيرة، حملت اسم احتجاجات أصحاب السترات الصفراء؛ وكانت هذه الحركة الاحتجاجية نتيجة تراكمات عدة عوامل أهمها: السياسات الاقتصادية المرتبطة بالاندماج الأوروبي والعولمة، والأزمة الاقتصادية العالمية، والهجرة. وتعكس هذه الحركة الاحتجاجية الاجتماعية التفاوت واللامساواة والطبقية بين مختلف الفئات الاجتماعية المهنية؛ إنها تعبر عن بروز انقسام طبقي في المجتمع الفرنسي بين الرابحين والخاسرين من تلك التراكمات، ولقد تدخل الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون، الذي اتخذ مجموعة من القرارات ساهمت في إخماد تلك الاحتجاجات. ونستخدم في هذه الدراسة منهج الوصف الإحصائي من أجل إثبات صحة الفرضيات المطروحة، كما إلى عدة نتائج. لعل أهمها: أن السياسة الليبرالية الجديدة للحكومة الفرنسية زادت من التفاوت الطبقي والاجتماعي في المجتمع الفرنسي، كما أن حركة أصحاب السترات الصفراء هي ذات طبيعة اجتماعية واقتصادية؛ أما المطالب السياسية فهي تعكس على الأرجح مطالب نُشطاء اليمين واليسار المتطرفين، الذين اندسوا في هذه الحركة الاحتجاجية.

* المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية: السترات الصفراء، فرنسا، الرئيس ماكرون، الهوية الاجتماعية، انقسام جديد.

Abstract:

Abstract:

In the autumn of 2018, took place a series of demonstrations in France that was named movement of yellow vests. This social movement was the product of various causes, among which the most important were: European integration, economic globalization, tax policy, world economic crisis, and legal or illegal Immigrations.

The study assumes that yellow vests movement reflects class inequality and disparity in French society or in others words the protest movement expresses the emergence of new cleavage between the losers and winners of the above factures. The French president Emmanuel Macron took a series of decisions in order to calm the protest movement. This study uses statistical description to validate our hypothesis and among the results of this study is a tax policy of French government that has aggravated inequality between social classes; so the yellow vests has a social and economic nature and the political demands are in reality the demands of activists of extremist parties.

Keywords: yellow vests, France, President Macron, protest movement, new cleavage.

مقدمة:

عرفت فرنسا، منذ خريف 2018، حركة احتجاجية شعبية عرفت باسم حركة السترات الصفراء. وسميت بهذا الاسم كناية عن سائقي السيارات، الذين يلزمهم قانون المرور الفرنسي بارتداء أقمصة صفراء، تضمن رؤية عالية لمرتديها، عندما تتعطل سياراتهم في الطرقات المزدوجة السريعة؛ غير أن سائقي السيارات استخدموا تلك السترات من أجل تَسِمَ حركتهم الاحتجاجية، التي انطلقت مع زيادة الحكومة للضرائب على المنتجات الطاقوية. وحظيت هذه الحركة بتغطية إعلامية عالمية، وتأثيراتها

تجاوزت الحدود الإقليمية لفرنسا ووصلت إلى بعض البلدان الأوروبية مثل بلجيكا وهولندا وغيرهما، وأثارت ردود أفعال سياسية داخلية وخارجية.

نطرح في صلب هذا المقال الاشكالية الآتية: إلى أي مدى ساهمت السياسات الليبرالية الجديدة المعتمدة من طرف الحكومة الفرنسية في ظهور حركة السترات الصفراء وإحداث تصدعات على مستوى النسيج الاجتماعي للمجتمع الفرنسي؟ ومن أجل معالجة هذا الموضوع، تقترح هذه الدراسة الفرضيات التالية: أولا، السياسات الجبائية لليبرالية الجديدة هي السبب الرئيس المباشر لاحتجاجات أصحاب السترات الصفراء، ثانيا، ساهمت العوامل السياقية، كالاندماج الأوروبي والعولمة الاقتصادية والهجرة وإجراءات حماية البيئة، تفاقم هذه الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، ثالثا، تعكس مواقف الفئات الاجتماعية المستجوَبة، بخصوص القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية، التفاوت الطبقي والشروخ العميقة في النسيج الاجتماعي، وبروز انقسام اجتماعي جديد في المجتمع الفرنسي.

لقد عبرت حركة أصحاب السترات الصفراء عن الانقسام الطبقي الجديد في المجتمع الفرنسي، وسيتجلى الانقسام الطبقي الجديد عند دراسة الأسباب المباشرة للحركة الاحتجاجية، وفي الهويات الاجتماعية والمهنية لأعضائها ونُشطائها، وفي مطالبهم أيضا؛ كما سيتم توضيح كذلك أن انهيار مستويات الثقة، في كل ما هو سياسي بوجه عام والسلطة التنفيذية بوجه خاص، كان من أهم تداعيات هذه الأزمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ونتطرق أيضًا إلى إجراءات مواجهة الأزمة من طرف الحكومة، وفي الأخير نتناول تقييم أداء الحركة الاحتجاجية للسترات الصفراء، بناء على مدى تفاعلها مع باقي فئات المجتمع من جهة، والضغط الذي مارسته على الحكومة من جهة أخرى، وما حققه من مكاسب من جهة ثالثة.

1ـ تعريف الحركة الاجتماعية للسترات الصفراء:

يقصد بالحركة الاجتماعية بحسب الباحث والمؤرخ السياسي تشارلز تيلي أنها ((سلسلة متواصلة من التفاعلات بين الماسكين بالسلطة والأشخاص الذين

يزعمون أنهم أفضل متحدث باسم مجموعة من الناس (بدائرة انتخابية) تعاني من نقص في التمثيل الرسمي)(Burawoy, 2015, pp. 1-7)

ويذهب سيدني تارو إلى القول إن الحركات الاجتماعية هي تلك:((التحديات الجماعية القائمة على مقترحات مشتركة والتضامنات الاجتماعية في تفاعل مستمر مع النخب والمعارضين والسلطات)). كما يرى أيضا أنها تلك الجماعات المعبأة اجتماعيا التي تنخرط في تفاعل مستمر للاحتجاج مع أصحاب السلطة، حيث يكون فيها أحد الفاعلين على الأقل هدفا لها أو مشاركا فيها (Tilly, 1992, p. 286)

وُصفت هذه الحركة الاحتجاجية، من قبل الإعلاميين والمراقبين والسياسيين، بعدة أوصاف مثل، ثورة بروليتارية، انتفاضة فرنسا الضواحي، ثورة فرنسا السفلى، ثورة المنسيين، فرنسا الغاضبة...إلخ. والواقع، إنه وعلى خلاف الحركات الاحتجاجية الوطنية أو الإثنية أو الدينية التي صنعها القادة في القرن العشرين، فإن حركة السترات الصفراء لم تكن تتمتع بقيادة كريزمية أو جماعية، وأنها حركة عفوية، ولم تكن نتيجة تخطيط مسبق للمفكرين أو قادة الرأي العام؛ إنَّ أصحاب السترات الصفراء يعترفون بأنهم لا يتعاطون السياسة، فهم مجرد أفراد عاديون ينتمون إلى أوساط اجتماعية دُنيا أو متوسطة، ويقطنون في المناطق شبه الحضرية والريفية، إنهم المتضررون أو الخاسرون من التحولات الاقتصادية، الإقليمية والعالمية، ومن السياسة المالية والجبائية المتبعة من طرف الحكومة.

أولا: أسباب نشوء الحركة الاحتجاجية:

كان السبب الرئيس في نشوء الحركة الاحتجاجية لأصحاب السترات الصفراء في تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في فرنسا، لاسيما انهيار القدرة الشرائية للمواطنين ذوي الدخل المتوسط والمحدود.

كان الاقتصاد الفرنسي يعاني منذ سنوات طويلة من أزمة نمو اقتصادي هيكلي، التي تعقدت أكثر بفعل الآثار السلبية للأزمة الاقتصادية العالمية لعام 2008؛ ففي سنة 2009، بلغ الركود الاقتصادي في أوروبا 2,9٪، وتراجع

الناتج الخام الداخلي في فرنسا إلى 4,5٪، وارتفع مستوى الدين العام في السداسي الثاني سنة 2018 إلى 2.299.8 مليار أورو، أي ما يعادل 99٪ من إجمالي الناتج الداخلي الخام؛ في حين أقرت معاهدة ماستريخت، التي دخلت حيز التنفيذ في أول نوفمبر 1993، بأنه يجب على دول الاتحاد الأوروبي بأن لا يتجاوز مستوى الدين العام فيها 60٪ كحد أقصى من إجمالي الناتج الداخلي الخام؛ وهكذا أضحت فرنسا توصف، بسبب أزمة اقتصادها، بالرجل المريض في أوروبا(INSSE, 2018)

أدت السياسات المالية، خاصة في المجال الجبائي، للرؤساء الفرنسيين السابقين، جاك شيراك (1995- 2007) ونيكولا ساركوزي (2007- 2012) وفرنسوا هولاند (2012- 2017) إلى بداية تحسن في الاقتصاد الفرنسي، كماهو واضح في المؤشرات الاقتصادية. فالناتج الداخلي حقق نموًا بنحو 2,2 ٪ في 2017، وارتفع نمو الإنتاج إلى 2،5٪، وشهدت الصادرات نموًا معتبرًا بنحو 4,5٪،وتراجع العجز العام إلى 59,5 مليار أورو، أي ما يعادل 2,6٪ من الناتج الداخلي الخام؛ وبوجه عام، كانت السياسات المعتمدة تهدف إلى تخفيف الأعباء الضريبية والاجتماعية على الشركات والمؤسسات الاقتصادية الفرنسية من أجل أن تكون أكثر تنافسية مع نظيراتها في الإتحاد الأوروبي؛ ذلك أن الزيادة في النمو الاقتصادي سوف يحل تدريجيًا مشكلات البطالة، ومستوى المعيشة للفرنسيين.(plane, 2015)

غير أن التكاليف الاجتماعية لهذه الإصلاحات المالية والجبائية، كانت باهظة جدًا، وتحملتها الفئات الاجتماعية الهشة في المجتمع؛ إن الزيادة في الاشتراكات والمساهمات الاجتماعية للموظفين أو العمال من جهة، وزيادة الضرائب على الإيرادات والثروة من جهة أخرى كانت لها نتائج وخيمة على بعض الفئات الاجتماعية بوجه خاص، فقد انخفضت القدرة الشرائية للفرنسيين في الفترة 2008 و2016 بواقع 440 أورو سنويًا، وفقدت العائلات الفقيرة 160 أورو سنويًا، أما العائلات الثرية ففقدت 2.000 أورو سنويًا وفقدت الأسر الأكثر ثراءً 5640 أورو سنويا، بينما استفادت العائلات

الأكثر فقرا والتي تشكل 5٪ من المجتمع بزيادة تقدر ب 450 أورو سنويًا؛ وتجدر الإشارة إلى أن هذا الانخفاض في المداخيل أثر سلبًا على الجزء الكبير (67٪) من الطبقة الوسطى في المجتمع الفرنسي. (INSEE, 2019, p. 111)

ولما وصل إيمانويل ماكرون إلى منصب الرئاسة في ماي 2017، أقر سياسة جبائية تحفز النمو الاقتصادي وتحافظ على البيئة؛وذلك عن طريق خفض الضرائب على الشركات والمؤسسات الاقتصادية بنسبة 35٪، في حين أنشأ ضريبة على الثروة العقارية، وضرائب على الساعات الإضافية وضرائب على اشتراكات الطلبة، والزيادة في اشتراكات الأجراء والمتقاعدين، والطاقةوالتبغ؛ إن هذه السياسة الجبائية التي تضمنتها موازنة 2018 زادت من نسب اللامساواة والتفاوت الطبقي في المجتمع، والتي كانت في فائدة العائلات الأكثر ثراءً في المجتمع؛ فقد أكدت دراسة للمرصد الفرنسي للأوضاع الاقتصادية أن 5٪ من العائلات الثرية، ومنهم 2٪ الأكثر ثراءً، يستفيدون لوحدهم فقط من 42٪ من الأرباح المحققة في هذه الفتر، لذلك وُصِفَ الرئيس ماكرون، من طرف معارضيه على الأقل، بأنه رئيس الأثرياء.(pierre madec, 2018, pp. 1-14)

تجدر الإشارة إلى أن الضرائب على المنتجات الطاقوية في فرنسا كانت الأعلى بالمقارنة مع باقي بلدان الإتحاد الأوروبي، إذ ارتفع سعر وقود الديزيل في فرنسا ب 18,3٪في حين ارتفعت في بلدان الاتحاد الأوروبي بـ12,7+٪، في ما يتعلق بسعر وقود البنزين فقد ارتفع في فرنسا بـ 1,56 أورو، بينما كانمعدل الزيادة في باقي بلدان الاتحاد ب 1,48 أورو، وبلغ أقصى ارتفاع له في ايطاليا بـ 1,66أورو،(htt22)ولم تكتف الحكومة الفرنسية بهذه الإجراءات الضريبية،وإنما لجأت كذلك إلى قرار آخر، والمتمثل في تخفيض السرعة القصوى المسموح بها في الطرقات الثانوية من 90 إلى 80 كلم في الساعة؛والهدف من ذلك تخفيض استهلاك الطاقة وتخفيض نسب انبعاث غاز ثاني أوكسيد الكربون في الجو، المتسبب في التلوث والاحتباس الحراري.

أثار هذا القرار الأخير حفيظة المواطنين الفرنسيين، وخصوصًا منهم أولئك الذين يتنقلون بسياراتهم الخاصة وأصحاب الشاحنات من المناطق شبه الحضرية والأرياف إلى المدن الكبرى،وعبر نحو 71٪ من سكان الأرياف و58٪ من سكان باريس وضواحيها عن رفضهم للقرار الجديد؛واختلف الفرنسيون، بل وانقسموا بشأن هذا القرار، فأصحاب المهن الفكرية (57٪ منهم) ساندوا القرار، في حين اعترض عليه أصحاب المهن المتوسطة (61٪) والمستخدمون والعمال،(htt23) الذين يعتقدون أن الضريبة على الكربون لن تساعد في تخفيض استعمال الطاقات الملوثة للبيئة. (61٪)

ثانيا: سوسيولوجيا الحركة:

سبق وأن أشرنا إلى أن أنصار حركة أصحاب السترات الصفراء ينتمون إلى الأوساط شبه الحضرية والريفية، لذلك فهم يعتمدون في تنقلاتهم اليومية للعمل على السيارات.

الجدول 1: يوضح درجة الاعتماد على السيارات في الحياة اليومية بحسب منطقة الإقامة:

السكان	درجة الاعتماد على السيارات (النسبة المئوية %)			
	أكثر اعتمادًا	يعتمد	أقل اعتمادًا	لا
البلديات الريفية	61	27	10	2
التجمعات السكانية من 2 إلى 20 ألف ساكن	39	38	19	10
التجمعات السكانية من 20 ألف إلى 100 ألف ساكن	32	39	19	10
التجمعات السكانية من 100 ألف ساكن فأكثر	28	35	26	11
الضاحية الباريسية	23	29	24	24

المصدر: -fop.com/wp-content/uploads/2018/11/Fop-focus-186-les-gilets-jaunes.pdf,p:5

يبلغ المعدل العمومي لأصحاب السترات الصفراء 45 سنة، وهو مرتفع بقليل عن المعدل العمري للسكان الفرنسيين (41,4 سنة).

الجدول 2: يوضح المعدل العمري لأصحاب السترات الصفراء

الفئات العمرية	نسبة (%) مشاركة كل فئة عمرية
24-18	%6,2
34-25	%26,6
49 -35	%27,2
64 -50	%26,6
أكثر من 65	%17,3

المصدر: Regarde.Fr/IMG:Pdf/Gilets-jaunes-2.PDF,P:5

تشير تقديرات التحقيق الذي أجرته جريدة لوموند الفرنسية، أن نسبة الرجال المشاركين في الحركة بلغ 55٪ وأن نسبة النساء فيها بلغت 45٪؛ أما تقديرات مكتب الدراسات والاستشاراف وسبر الآراء الفرنسي (Elabe) فقد أكد أن نسبة الرجال هي 53٪ والنساء 47٪،[11] وبالتالي فهي حركة مختلطة تناصفاً بين الجنسين.

نلاحظ بأن المعيار الاجتماعي المهني، لحركة السترات الصفراء تسيطر عليها الفئات الشعبية الدنيا، وهم المتضررون من انعكاسات الاندماج الأوروبي والعولمة الاقتصادية والهجرة، والذين يرون أن فرص العمل أو الاستثمار بدأت تتضاءل بالتدريج، مقابل بروز فئات اجتماعية مهنية جديدة (أصحاب الشركات الكبرى والمستثمرون في التكنولوجيات الرقمية ووسائط التواصل الاجتماعي) وجدت في الاندماج الأوروبي والعولمة فرصًا جديدة لتراكم رؤوس الأموال.

الجدول 3: يوضح الفئات الاجتماعية المهنية التي ينتمي إليها أصحاب السترات الصفراء.

الفئة الاجتماعية المهنية	النسبة (%)
- المزارعون	1,3
- المستغلون الزراعيون	1,8
- الحرفيون: التجار، رؤساء المؤسسات الاقتصادية	10,5
-المستخدمون	33
- العمال	14
- المهن المتوسطة	9,8
الإطارات والمهن الفكرية	5,2
-البطالون	25,5

المصدر: Ibid,P:4

وكما أسلفنا الذكر، فأنصار هذه الحركة الاجتماعية ينتمون إلى الضواحي (32٪) وإلى المدن (30٪) والمناطق الريفية (27٪) وفئة قليلة منهم يعيشون في مدن صغيرة معزولة، وبالنسبة للمستوى العلمي والتكوين الجامعي، فنجد أن أصحاب السترات الصفراء هم بوجه عام من ذوي المستويات المتدنية نسبيًا.

الجدول رقم (04) يوضح مستوى التكوين العلمي والمهني

الشهادة أو الدبلوم المحصل عليه	النسبة (%)
- شهادات عليا	20
-بكالوريا + 4	05
- شهادة الكفاءة المهنية والبكالوريا المهنية	35
- شهادة البكالوريا	29,5
- شهادة أقل من البكالوريا المهنية	15,4

المصدر: Ibid,P:6

يعاني أصحاب السترات الصفراء من أزمة في القدرة الشرائية التي خلقت عندهم شعور بأنهم أصبحوا يقتربون إلى مستوى الفئات الاجتماعية الدنيا في المجتمع؛ ومع ذلك قال 55٪ منهم أنهم يخضعون للضريبة، وأن 85٪منهم يملكون سيارة، ويبلغ متوسط الدخل الشهري الصافي لأنصار هذه الحركة 1486 أورو، وهو أقل من الدخل المتوسط لجميع السكان ب 30٪ (أي أن متوسط الدخل الشهري الصافي للفرنسيين هو 1777 أورو)، وأن 10٪ منهم يتقاضون دخلا أقل من 800 أورو شهريًا؛ لذلك قال نحو 65٪ منهم أنهم يواجهون صعوبات مالية في نهاية كلِّ شهرٍ، إذْ يجد أكثر من 30٪ منهم صعوبة في تسديد فاتورة الكهرباء أو إيجار البيت أو تسديد القروض العقارية أو الضرائب؛ كما قال 50٪ منهم أنهم يجدون صعوبة في توفير مصاريف النقل بسبب ارتفاع سعر الوقود، خاصة أن 10٪ منهم يتقاضون دخلاً أقل من 800 أورو شهريًا.

لذلك، تبقى الانشغالات الأساسية لأنصار هذه الحركة تتمثل في القدرة الشرائية (50٪) ثم المعاشات (30٪) فالعمل (28٪) والهجرة (27٪) والتفاوت واللامساواة الاجتماعية (24٪) والصحة (23٪) والضريبة (16٪) والتهديد الإرهابي (16٪) والبيئة (13٪) والأمن (12٪) والسكن (11٪) والتربية (10٪) والرعاية الصحية (9٪) والدين العمومي (07٪) والتمييز(6٪).[14] وهذا ما يؤكد على الطبيعة الاجتماعية والاقتصادية لحركة السترات الصفراء.(htt24, pp. 4-6)

ثالثا: مطالب أصحاب السترات الصفراء:

أعلن نُشطاء الحركة الاحتجاجية السترات الصفراء، في 28 نوفمبر 2018، عن لائحة مطالب أرسلت نسخة منها إلى نواب الجمعية الوطنية وحملت هذه اللائحة، التي تتألف من اثنان وأربعين مطلبًا، اسم المبادئ التوجيهية للشعب؛ وكانت هذه المطالب تتصل بالقدرة الشرائية والجباية والسياسة الاجتماعية والخدمات العمومية.

أكدت دراسة أجراها نحو 70 باحثًا جامعيًا فرنسيًا، ونشرتها جريدة لوموند Le Monde بتاريخ 2018/12/11، على حركة السترات الصفراء، أنَّ 53٪ منهم يطالبون برفع مستوى القدرة الشرائية، وأنَّ 41,6٪ يطالبون بخفض الضرائب، و 19,9٪ يطالبون بإعادة توزيع الثروة، و 10,2٪ يطالبون بإصلاح مؤسساتي.

يعكس هذا الوصف الإحصائي الطبيعة الاجتماعية والاقتصادية للحركة التي قادها المواطنون العاديون (عمال، وموظفون ومستخدم ون ومتقاعدون وحرفيون وسائقوا السيارات والشاحنات...)، أما المطالب المرتبطة بالإصلاح المؤسساتي فمن المرجح أنها مؤشر على وجود مناضلي الحزبين المتطرفين، التجمع الوطني (الجبهة الوطنية سابقًا) وهو حزب يمينيٌ شعبويٌ متطرفٌ، وحزب فرنسا الأبية، وهو حزبٌ يساريٌ متطرف، ومطالبُ هؤلاء المتطرفين لا تحظى بقبولٍ كبير سواءٌ بين أنصار الحركة أو في المجتمع الفرنسي برمته.

رابعا: أزمة الثقة في السياسة:

المتتبع لحركة السترات الصفراء يجد بأنها جلبت تأييد وتعاطف عدة أحزاب سياسية، ويأتي على رأس هذه الأحزاب حزب فرنسا الأبية بقيادة جان لوك ميلونشو والتجمع الوطني بقيادة مارين لوبان، كما أعربت الأحزاب المعتدلة أيضًا عن تأييدها لهذه الاحتجاجات مثل الحزب الاشتراكي (اليسار المعتدل) وحزب الجمهوريين (اليمين المعتدل)، ورغم ذلك تُشير الكثير من الوقائع والأدلة ونتائج سبر الآراء عن انهيار الثقة في الطبقة السياسية عمومًا، والسلطة التنفيذية خصوصًا.

إنَّ هذه الأزمة هي نتاج تراكمات مختلفة، كالأزمة الاقتصادية العالمية، والهجرة، النمو الديمغرافي وضعف أداء الحكومات الفرنسية خاصة في المجال الاقتصادي؛ وقد اعْتُبَرَ مركز الأبحاث السياسية في العلوم السياسية الفرنسي (CEVIPOF) أن العشرية الأخيرة (2009- 2019) هي عشرية سوداء للثقة السياسية الفرنسية، وأن الحالة النفسية للمواطنين الفرنسيين

تطغى عليها الكآبة والسأم وفقدان الثقة والتشاؤم الجماعي.(Science-po-CEVIPOV, 2009-2010, p. 2)

لقد كانت احتجاجات أصحاب السترات الصفراء وما تخللها من عنفٍ هي التعبير عن هذه الحالة النفسية، ومما زاد في الوضع صعوبة وتعقيدًا هي السياسة الجبائية للرئيس إيمانويل ماكرون وحكومته، بقيادة الوزير الأول إدوارد فيليب.

انتقد المواطنون الفرنسيون رئيسهم إمانويل ماكرون عندما رفض في أول الأمر التخلي ولو جزئيًا على الأقل عن سياسته الجبائية، فقد وصفه 76٪ منهم بأنه متكبر ومغرور، وقال عنه نحو 51٪ منهم بأنه منفصل عن واقع الفرنسيين، وقال 78٪ منهم، أنه سلطوي بشكل مفرط وقال نحو 47٪ أن سياسته تصب في مصلحة الأثرياء(Elabe, 2019, pp. 4-5)، ولكن الشيء المقلق في الأمر هو انهيار شعبية ليس الرئيس وحكومته فقط وإنما أيضًا شعبية الطبقة السياسية الفرنسية بوجه عام.

الجدول 5: يوضح سبر آراء مركزOpinion-way الخاص بالثقة السياسية والرضا لكلٍ من الرئيس إيمانويل ماكرون والوزير الأول إدوارد فيليب

سبر أراء مركز Opinion-way	27-29 نوفمبر 2018		5-7 جوان 2019	
	الثقة (%)	عدم الثقة (%)	الرضا	عدم الرضا
إيمانويل ماكرون	32	68	33	65
إدوارد فيليب	31	69	33	64

المصدر: Opinion-Way ;Le baromètre LCI de l'action politique , 14-15 Novembre 2018. Opinion-Way ;Le baromètre de l'action politique, 5-7 Juin 2019.

الجدول 6: يوضح سبر آراء مكتب Elabe بشأن الثقة وعدم الثقة في الرئيس إيمانويل ماكرون والوزير الأول إدورد فيليب

سبر آراء مكتبElabe	04-05 ديسمبر 2018		06 جوان 2019	
	الثقة (%)	عدم الثقة (%)	الرضا	عدم
إيمانويل ماكرون	23	74	32	63
إدوارد فيليب	23	73	30	61

المصدر: Elabe ; L'Observatoire politique Baromètre .4-5décembre 2018.

Elabe ; L'Observatoire politique Baromètre ELABE,6 juin 2019.

الجدول 7: سبر آراء مؤسسة Harris-interactive بشأن الثقة السياسية في السلطة التنفيذية

سبر آراء مؤسسة Harris-interactive	27-29 نوفمبر 2018		05-07 جوان 2019	
	الثقة (%)	عدم الثقة (%)	الرضا	عدم الرضا
إيمانويل ماكرون	29	69	40	60
إدوارد فيليب	30	67	39	61
الوزراء	24	76	29	71

Harris-intractive ;Baromètre de confiance politique,27-29 novembre 2018
المصدر:

Harris-intractive ;Baromètre de confiance politique,5-7 juin 2019

تبين الجداول أعلاه أن الفرنسيين أصبحوا لا يثقون في السلطة التنفيذية، وأنهم غير راضين عن أدائها، ومع ذلك نسجل ارتفاعًا طفيفًا في نسب الثقة، كما هو واضح في مختلف نتائج سبر الآراء الخاصة بشهر جوان 2019، إن هذا الارتفاع الطفيف ناجم عن الإجراءات التي اتخذها الرئيس ماكرون وحكومته، ورغم ذلك، فقد أكدت دراسة سبر آراء لمؤسسة أودوكسا(ODOXA) أن شعبية السلطة التنفيذية في تراجع. إذ قال نحو 66٪ من الفرنسيين أن الرئيس ماكرون ليس رئيسًا جيدًا، وقال نحو 64٪ أن الوزير الأول إدوارد فيليب ليس وزيرًا أولًا جيدًا.(ODOXA, s.d., pp. 11-14)

إجراءات الحكومة لمواجهة الأزمة:

كانت احتجاجات المتظاهرين من أصحاب السترات الصفراء قوية جدًا وشملت جميع أنحاء فرنسا، فقد تم إحصاء في أول مظاهرة كبيرة لهم في 17 نوفمبر 2018، بـ 283.000 متظاهر حسب وزارة الداخلية(nov17) كما شددت أحزاب المعارضة المتطرفة من خطابها السياسي، وطالب زعيم حزب فرنسا الأبية جان لوك ميلونشو الرئيس ماكرون بحل الجمعية الوطنية باعتباره المخرج المعقول والهادئ والإيجابي، بالنظر إلى إخفاق

السلطة التنفيذية في انجاز أهدافها، أما رئيسة التجمع الوطني مارين لوبان فقد انتقدت سياسة الهجرة للرئيس ماكرون وحكومته، ودعت إلى رفع مستوى الأجور الصغيرة، وتمول هذه الزيادة بإنشاء مساهمة اجتماعية من الاستيراد، كما طالبت بتطبيق نظام التمثيل النسبي، وحل الجمعية الوطنية، وتنظيم انتخابات تشريعية جديدة.

إلا أن الرئيس ماكرون تفادى الحلول السياسية، واختار الحلول الاقتصادية والاجتماعية لمعالجة أزمة هذه الحركة الاحتجاجية، ففي الخطاب الذي ألقاه يوم 10 ديسمبر 2018، تم اتخاذ عدة قرارات للتخفيف من الضغوطات الهائلة عليه وعلى حكومته، لاسيما من طرف أنصار حركة السترات الصفراء؛ فالقرار الأول كان يتمثل في رفع مستوى الأجر الوطني الأدنى ب 90 أورو شهريًا، وضبطه مع مستوى التضخم، واستفادت من هذا القرار نحو 4,1 مليون عائلة من ذوي الدخل المحدود جدًا، أما القرار الثاني فقد ألغى الزيادة في المساهمات الاجتماعية المعممة، والتي كانت سترتفع من 6,6٪ إلى 8,3٪ في موازنة 2019،ويخدم قرار الإلغاء هذا الأشخاص غير المتزوجين الذين يقل دخلهم السنوي عن 22,580 أورو، وكذلك الأزواج الذين يقل دخلهم السنوي عن 34.636 أورو، كما تم تعويض نحو خمس ملايين من أصل أكثر من 16 مليون متقاعد الذين طبقت عليهم هذه الزيادة، ويسمح إلغاء هذه المساهمة برفع مستوى القدرة الشرائية بمبلغ 1,3 مليار أورو سنويًا.(oct16)

يتعلق القرار الثالث بإلغاء الجباية على ساعات العمل الإضافية للموظفين والعمال تحت شعار اعمل أكثر تربح أكثر، والمداخيل المعنية بهذا القرار هي تلك التي لا تتعدى مستوى 5000 أورو صافية سنويًا، وهذا من شأنه رفع القدرة الشرائية لهذه الفئة المهنية الاجتماعية ب 3 ملايير أورو سنويًا، ويرمي القرار الرابع إلى إنشاء مكافأة استثنائية، وهي مكافأة نهاية السنة التي يدفعها أصحاب المؤسسات الاقتصادية للموظفين والعمال، إذا كانت الصحة المالية تسمح بذلك؛ ويستفيد من هذا القرار نحو 5,5 مليون موظف وعامل، وتتراوح قيمة المكافأة بين 400 إلى 1000 أورو،

ودفعت408.000 مؤسسة اقتصادية ما لا يقل عن 2,2 مليار أورو كمكافآت لموظفيها وعمالها.

ويتصل القرار الخامس بإنشاء مكافأة النشاط وتوسيعها لتشمل بعض الفئات الاجتماعية المهنية ذات الدخل الضعيف، وتستفيد منها نحو 4,1 مليون عائلة، والمبلغ الإجمالي المقرر لهذه المكافأة في موازنة 2018 هو 5,6 مليار أورو، ومن المقرر أنها سترتفع إلى 8,8 مليار أورو في موازنة 2019 كما تعتزم الحكومة رفع نسبتها ب 0,3٪ في موازنة 2020، كما قررت الحكومة أيضا مكافحة التهرب الضريبي الذي يقدر بحسب أصحاب السترات الصفراء بنحو 80 مليار أورو(2018)كذلك تعليق العمل بضريبة الكاربون والزيادات في أسعار الغاز والكهرباء؛ إن هذه الإجراءات المتخذة ستكلف خزينة الدولة حسب وزير الاقتصاد و المالية برينو لو مييرB.Le Maire 17 مليار أورو سنويًا.(2019).

لما أدرك الرئيس ماكرون أنه ارتكب أخطاء في حق مواطنيه، وذلك في حوار له مع القناة التلفزيونية الإيطالية Rai Uno في 04 مارس 2019 في معالجة الأزمة، أراد أن يتصالح مع شعبه عبر أسلوب جديد في العمل السياسي، والمتمثل في مبادرة النقاش الوطني الكبير الذي أعلن عنه في 18 ديسمبر 2018، والذي انطلق في 15 جانفي 2019،وكان يتمحور حول أربع مسائل، الجباية والنفقات العمومية، الديمقراطية والمواطنة، تنظيم الدولة والخدمات العمومية، الانتقال الطاقوي.(htt26)

جاء هذا الحوار من أجل أن يملأ الهوة التي تفصل بين الرئيس ماكرون ومواطنيه ويفتح باب الديمقراطية التشاركية، وينشئ روابط مباشرة بينه وبين شعبه ويساهم الجميع، خاصة منهم المنتخبين المحليين، في هذا الحوار من أجل صنع السياسات العامة في المجالات الأنفة الذكر، وحاول الرئيس ماكرون في هذه المناسبة أن يقترب من فئة الشباب وأن يجذبهم لمعرفة مشاكلهم واحتياجاتهم. كما عمل الشيء ذاته مع أصحاب السترات الصفراء وسكان العالم الريفي، وكان من بين القرارات التي اتخذها بعد النقاش

الوطني الكبير، خفض الضريبة على الدخل، وإعادة ضبط المعاشات مع معدل التضخم.

تقييم أداء الحركة الاحتجاجية:

يمكن قياس أداء الحركة الاحتجاجية لأصحاب السترات الصفراء في ثلاثة أسئلة وهي: هل تمكنت هذه الحركة من كسب دعم الرأي العام الفرنسي للضغط على السلطات العمومية؟ إلى أي حد تمكنت هذه الحركة من تحقيق أهدافها؟ هل ينبغي أن تتواصل هذه الحركة الاحتجاجية أم يجب أن تتوقف؟

كانت الحملة الدعائية التي قادها أصحاب السترات الصفراء في وسائل التواصل الاجتماعي فعالة جدًا في كسب تعاطف الأغلبية الساحقة من المواطنين الفرنسيين، ففي دراسة سبر آراء أجرتها مؤسسة Harris interactive، في 2018/12/02 قال نحو 72٪ من الفرنسيين أنهم يساندون هذه الحركة الاحتجاجية(interactive, 2018, p. 5)بينما مركز سبر الآراء Odoxa، فقد أكد في دراسة له أن نسبة التأييد في 27 و28 نوفمبر 2018 بلغت 84٪،(Oxoda, s.d., p. 5)) كما أكدت دراسة أخرى لمكتب الدراسات والاستشارات و سبرالآراء Elabe أن النسبة ارتفعت في ظرف أسبوع،أي 2018/11/28 من 70٪ إلى 75٪.(Elable, 2019, p. 5)

إن موقف الرئيس الفرنسي ماكرون كان في البداية موقفًا انتقاديًا للحركة الاحتجاجية بسبب حدوث بعض أعمال العنف والتخريب أثناء المظاهرات الأولى، أما وزير الداخلية كريستوف كاستنيرCh .Castaner فوصف، في 2018/11/24، المحتجين بأنهم (مُحرضين يمينيين متطرفين)، إن هذا التعامل مع مظاهرات أصحاب السترات الصفراء أدى إلى نتائج عكسية،وجذب المزيد من الدعم الشعبي والسياسي في الداخل والخارج، فقد قال نحو 90٪ من الفرنسيين أن الحكومة لم تكن في مستوى الأحداث، واعتبر زهاء 83٪ منهم أن المظاهرات الشعبية مبررة، ولكن في الوقت ذاته ورغم هذا التأييد فإن الأغلبية الساحقة من الفرنسيين (79٪)

كانوا يخشون من أن تصبح الحركة الاحتجاجية متمردة، وعبر 85٪ من الفرنسيين عن رفضهم للعنف، بيمنا قال 15٪منهم أنهم يوافقون على اللجوء إليه.(2018, pp. 5-9)

لكل حركة اجتماعية احتجاجية دورة حياة، نشأة ثم تطور وانتشار فتلاشي وزوال،(Touraine, 1978, p. 132) كذلك الحال بالنسبة لحركة السترات الصفراء في فرنسا، التي بدأت تتلاشى تدريجيًا مع الإجراءات التي اتخذتها الحكومة، ورُغم استمرار البعض من أنصارها في التظاهر كل يوم سبت إلا أن عددهم أصبح قليل جدا، ولكن تركت هذه الحركة الاحتجاجية انطباعًا ايجابيًا لدى الفرنسيين، أو على الأقل لدى الأغلبية منهم، ففي الذكرى الأولى لميلاد الحركة التي تصادف 2018/11/17 خرج نحو 28000 منهم لإحياء الذكرى حسب وزارة الداخلية، أما أصحاب الحركة فأحصوا مشاركة 39530 شخصًا في جميع أرجاء فرنسا.(2019) .

لا تزال أغلبية الشعب الفرنسي (69٪ مقابل 31٪) ترى في الحركة أنها مبررة، بل إنها حققت بعض من أهدافهم، فقد أقر نحو 58٪ من الفرنسيين، خاصة منهم 68٪ الذين ينتمون للأوساط الشعبية أنها كانت مفيدة بالنسبة إليهم، فلولا السترات الصفراء لما استفادوا من 17 مليار أورو، وهي الهدايا الضريبية التي تنازلت عنها الحكومة، في حين قال 62٪ من الذين ينتمون إلى فرنسا العليا أنها كانت شيء سيء بالنسبة إليهم؛ وفي المقابل يرى ثلثان (64٪) من الفرنسيين أن الرئيس ماكرون والحكومة لم يأخذوا بعين الاعتبار مطالب الحركة، فيما قال آخرون (23٪) أنهم استجابوا، أما أقلية أخرى (13٪) فقالوا أنهم بالغوا في الاستجابة لمطالبهم. (Odoxa, opinion tranchée, s.d., pp. 4-8)

رغم هذه النظرة الإيجابية إلا أن الأغلبية الكبيرة من الفرنسيين أخذوا ينزعون إلى ضرورة أن تتوقف حركة السترات الصفراء، خاصة بعد أن استجابت الحكومة الفرنسية لأهم مطالبهم؛ ففي 2019/02/13 عبر نحو 56٪ من الفرنسيين عن رغبتهم في توقف هذه الحركة، لاسيما وسط الإطارات

(80٪) والطبقات الوسطى (58٪) والفئات الشعبية (45٪)،بل إن 64٪ من الفرنسيين مقابل 36٪ منهم يعتقدون أن مظاهرات يوم السبت لم تعد أبدًا تعكس المطالب الأولى للسترات الصفراء، وفي سبر آراء آخر أجرته مؤسسة سبر الآراء Viavoice بين 19 و20 فيفري 2019 قال 63٪ من الفرنسيين أنهم يرغبون في أن تتوقف المظاهرات ويجب إيجاد طرق أخرى للعمل في المستقبل.(viavoice, 2019, p. 3)هو ما ذهب إليه مكتب الدراسات والاستشارات في سبر الآراء الذي قام به هو الآخر بين 12 و13 نوفمبر 2019.(Elable, 2019, p. 5)

الخاتمة:

يمكن اعتبار الحركة الاحتجاجية لأصحاب السترات الصفراء أنها نتاج تفاعل عدة عوامل وطنية وإقليمية وعالمية، حيث كانت الزيادة في المنتجات الطاقوية هي الشرارة أو السبب المباشر ولكن ليس الوحيد الذي أشعل فتيل تلك المظاهرات الاحتجاجية، لقد تمكنت هذه الدراسة، القائمة على الوصف الإحصائي التحليلي، من صياغة بعض النتائج وهي:

أولا، إن السياسات المالية والجبائية لليبرالية الجديدة المعتمدة من طرف مختلف الحكومات الفرنسية، وخاصة في فترة الرئيس ماكرون، كانت في فائدة الرابحين من عملية الاندماج الأوروبي والعولمة الاقتصادية، بينما تمثل حركة السترات الصفراء المواطنين الخاسرين منها، وهي نتيجة أكدتها من قبل دراسات سابقة.

ثانيًا، يمكن القول إن حركة السترات الصفراء هي ذات طبيعة اجتماعية واقتصادية وليست ثورة راديكالية، أما المطالب السياسية فهي تعكس على الأرجح مطالب نُشطاء اليمين واليسار المتطرفين الذين اندسوا في هذه الحركة، وهم فئة قليلة.

ثالثا، إن انهيار مستوى الثقة في السلطة التنفيذية بوجه خاص يعكس التوزيع غير العادل للتكاليف الاجتماعية الباهظة بين طبقات المجتمع لمعالجة أزمة نمو الاقتصاد الفرنسي.

رابعًا، يتبين من تراجع قوة الحركة الاحتجاجية، وارتفاع نسب الرغبة في توقفها من طرف أغلبية المواطنين، أن الإجراءات التي اتخذها الرئيس ماكرون لحل أزمة السترات الصفراء ساعدت ولو جزئيًا، في ردم الهوة الطبقية بين الرابحين والخاسرين من الاندماج الأوروبي والعولمة الاقتصادية، إلا أنها لا تزال عبارة عن حلول جزئية وغير كافية، وستدفع الرغبة في إصلاح النظام الاقتصادي المأزوم إلى ظهور حركات احتجاجية أخرى جديدة في فرنسا، مثل الحركة الاحتجاجية التي برزت إثر إصلاح نظام التقاعد.

قائمة المراجع:

الكتب:

- Tilly, C. (1992). social movement and national politics in c.bright and s.harding eds; statemacking and social movement ann arbor. paris: university of michigan.
- Touraine, A. (1978). la voix et le regard: sociologie des mouvements sociaux. paris: seuil.

المقالات:

- burawoy, M. (2015). Une Nouvelle Sociologie pour les Nouveaux Mouvements Souciaux. Les Possilles.

المواقع الإلكترونية:

- https://bit.ly/2WHWuli.
- Plane, https://bit.ly/38w5AE4.
- https://bit.ly/38uCPHJ.
- Madec, Plane&Sampognoro,https://bit.ly/3yD2l8i.
- Gilets jaunes: une enquete pionnére sur la révolte des revenus modestes: https://bit.ly/3tyiTNN
- https://bit.ly/3nkaLj3(2018, septembre 13)
- r https://bit.ly/3nCu87h(2018, décembre 6)
- . https://bit.ly/3jZ69ge(2019, avril 30)
- s://bit.ly/3E5jsUh(2019, novembre 16)
- Boudon, R. (1992). Traité de Sociologie. Paris: PUF.

- Burawoy. (2015). une nouvelle sociologie pour les nouveaux mouvements souciaux. les possilles(5).
- Elabe. (2019, janvier 30). les francais et emmanuel macron sondage elabe pour bfmtv . Récupéré sur https://bit.ly/2X9MUrc
- Elable. (2019, février 13). les francais et les gilets jaunes sondage elabe pour bfmtv. Récupéré sur https://bit.ly/3tKZ8D7
- INSEE. (2019). tableaux de l'economie francaise. Récupéré sur https://bit.ly/38uCPHJ
- INSSE. (2018). Récupéré sur la dette publique s''établit: https://bit.ly/2Yva7om
- interactive, H. (2018, décembre 2). les Gilets jaunes quelle percep de part des francais au lendemain de la manifestation. Récupéré sur les champs- elysées: https://bit.ly/3k0wsCA
- jaunes, G. une enquete pionniére sur la revolte des revenus modestes. Récupéré sur https://bit.ly/3tyiTNN
- jaunes, l. d. Récupéré sur https://bit.ly/3Ea7wAA
- liste des 42 revendications des gilets jaunes. https://bit.ly/3Ea7wAA
- ODOXA. Récupéré sur opinion tranchée le barométre politique: https://bit.ly/3C2gG0h
- Odoxa.. opinion tranchée. Récupéré sur le mouvement des gilets jaunes, les francais pensent que le mouvement des gilets kaune leur a profité et a sevri les catégories populaires: https://bit.ly/3l9Nqhg
- Odoxa.. opinion tranchée: le barométre politique. Récupéré sur https://bit.ly/3C2gG0h
- Oxoda. opinion tranchée. Récupéré sur suite du mouvement gilets jaunes et discours d emmanuel macron: https://bit.ly/3A3uOWD
- pierre madec, m. p. (2018, janvier 15). pas d''austerite mais des inegalités. Récupéré sur budjet: https://bit.ly/3yD2l8i
- plane, M. (2015, janvier 23). la france, l'homme malade de l'europe? Récupéré sur conjoncture: https://bit.ly/3nx891x
- Science-po-CEVIPOV. (2009-2010). Barométre la confiance en polotique. Récupéré sur https://bit.ly/390Md68
- viavoice, I. (2019, mars). Récupéré sur le baromètre politique via voice libération: https://bit.ly/3A6BNxP